منارات العمادية

فقرات من فصول لكتاب "العراقيون غير المُحتَمَلين"

د. جلنك باشا العراقي

2/1/2011



شركة تراق
كندا
2011


منارات العمادية

منارات العمادية

د. جلنك باشا العراقي

هذه فقرات تم اعدادها من فصول لكتاب لي قيد التاليف بعنوان "العراقيون غير المُحتَمَلين"[1] ارتئيت نشرها للفائده.

العمادية [2]مدينة قديمة مثل الكثير من مدن و قصبات العراق و فيها الكثير من الآثار القديمة و التماثيل المنحوته. ابرز تلك الآثار وقد تكون اهمها هي مناراتها. يمكن رؤية المدينه و اضواءها ليلاً من مسافة بعيد بسبب ارتفاعها و من بعيد يمكن ملاحظة احدى مناراتها.

تقع مدينة العمادية شمال العراق على خط 43 درجه و 29 ثانية شرق خط كرنج و37 درجه و 36 ثانية شمال خط الاستواء. وتبعد على الخريطة اقل من من ثلاثة ثوان من الدرجة جنوب زاخو و حوالي درجتين شرقها. هي مدينة قديمة من الصعب معرفة تاريخ انشاءها بالتحديد. القادم للعمادية يلاحظ انها تقع على مرتفع من الارض. يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي 1200 متراً. ترتفع المدينه عن مايحيطها من مدن و قصبات بحوالي 200 متر و ترتفع عن الوادي الذي يحيطها بحوالي 400 متر. هي مدينه بيضوية اقرب الى شكل خماسي الاضلاع. الجزء الشمالي منها مدبب اكثر من الجزء الجنوبي. تنحدر المدينة من الشرق الى الغرب و من الشمال الى الجنوب بحيث ان اعلى قسم منها هو الجزء الشمالي الشرقي و المنخفض منها قريب من الجزء الجنوبي الغربي و الفرق في الارتفاع بين هذين الجزئين هو حوالي الخمسين متراً.

باب الباشا

باب زيبار

باب الموصل

مخطط 1 مخطط بسيط للطرق الرئيسة داخل مدينة العماديه اوائل القرن العشرين يوضح فيها مكان المنارة و الاسواق.

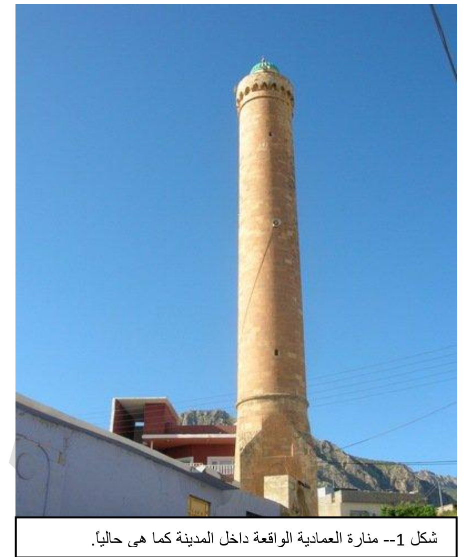
للمدينة ثلاثة ابوب. باب الباشا و باب الزيبار و باب الموصل. و توجد في المدينة طريقين رئيسيين احدهما يمتد على طول الطرف الشرقي للمدينة و الاخر يتقاطع معه و يمتد الى قرب الزاوية الغربية الجنوبية للمدينة. يحيط بتلك الطرق دكاكين واسواق على طولهما و خلف تلك الاسواق توجد محلات الخدمات السانده مثل المخازن, ومكان الحدادين و المطاحن. بعدها توجد المناطق السكنية ما عدا المنطقة الجنوبية من المدينة حيث توجد المقابر(مخطط 1) توجد بناية في الطرف الجنوبي الشرقي على امتداد الطريق (ليست في المخطط) كانت مقر للحاكم العثماني ابان الحكم العثماني المباشر للمنطقة. وعند القاء نظرة الى المخطط القديم للمدينة يمكن ملاحظة شيئين بارزين بشكل لا يقبل الشك. اولهما ان جميع الطرق الداخلية القادمة من ابواب العمادية تلتقي عند المنارة. و ثانيهما وجود اسواق و دكاكين بعدد يتجاوز بكثير حاجة المدينة.

1 قد يتغير اسم الكتاب عند اكماله.

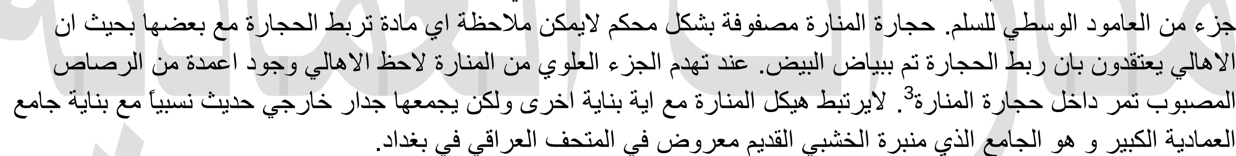
[2] توجد آراء مختلفة عن سبب تسميتها هذا الاسم وهي خارج اطار هذه المقالة

منارة العمادية

تقع منارة العمادية في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة, اي في الجزء المرتفع منها. ارتفاع المنارة هو اعلى قليلاً من 29 متراً, اي بارتفاع يزيد عن بناية ذات تسعة طوابق. تعلي المنارة قبة صغيرة فيها ثلاثة شبابيك صغار تتجه احداها نحو الشمال و الاخرى نحو الجنوب الشرقي و الاخرى نحو الغرب.


شكل 1-- منارة العمادية الواقعة داخل المدينة كما هي حالياً.

يلاحظ زائر العمادية بان الجزء العلوي من المنارة اكثر بياضاً من اسفلها وذلك لان الجزء العلوي من المنارة تهدم نتيجة قصف المدينة من قبل الجيش العراقي خلال احدى فترات الاضطرابات. قام الاهالي بالتبرع و اعادة بناء ما تهدم بشكل مطابق تقريباً لما كانت عليه سابقاً. و بالطبع توجد على جدران المنارة آثار الاطلاقات النارية التي كان الجيش العراقي اسوةً بالثوار يطلقونها على المدينة و اهلها. كان الجيش يطلق النار عندما كانت الحكومة تفقد سيطرتها على المدينة و كان الثوار الكورد يفعلون ذلك عندما كانت القوات الحكومية في المدينة. بهذا يمكننا اعتبار المنارة سجلاً باقياً لما مر بالمدينة من حوادث.



منارة العمادية الواقعة في المدينة (توجد منارة اخرى في الوادي الواقع شمال المدينة سيتم التطرق لها لاحقاً) هي ذات بناء محكم و متميز. انها مبنية من حجارة منحوتة بشكل فني دقيق لتعطي الشكل الدائري للمنارة. يوجد داخل المنارة سلم حلزوني يدور حول عامود يتوسطها وكلها بالطبع منحوتة من الحجر. مما يثير الاعجاب اكثر ان كل درجة من درجات السلم متكونة من حجارة يشكل جزء منها الجدار الخارجي و جزء من العامود الوسطي للسلم. حجارة المنارة مصفوفة بشكل محكم لايمكن ملاحظة اي مادة تربط الحجارة مع بعضها بحيث ان الاهالي يعتقدون بان ربط الحجارة تم ببياض البيض. عند تهدم الجزء العلوي من المنارة لاحظ الاهالي وجود اعمدة من الرصاص المصبوب تمر داخل حجارة المنارة[3]. لايرتبط هيكل المنارة مع اية بناية اخرى ولكن يجمعها جدار خارجي حديث نسبياً مع بناية جامع العمادية الكبير و هو الجامع الذي منبرة الخشبي القديم معروض في المتحف العراقي في بغداد.

لمنارات العمادية صفات غريبة. رغم انتشار القصبات المسلمة حول العمادية و قربها ولكن لاتوجد في اي منها منارات تشبهها. و علو المنارة يرتفع كثيراً عن مستوى البناء في المدينة, القديم منها و الحديث. ان ارتفاع الابنية في العمادية لم يتجاوز الطابقين, فما الحاجة لهذا الارتفاع الكبير؟ خصوصاً و ان العمادية نفسها واقعة على هضبة مرتفعة من الارض بشكل ظاهر. ثم ان حقيقة وجود اكثر من منارة واحدة في العمادية يثير التساؤل اكثر, خصوصاً اذا علمنا ان المنارة الثانية تقع في الوادي شمال واسفل العمادية عبر النهر المتشكل من ماء العيون الموجودة شمال المدينة, وليس داخل القصبة المأهولة بالسكان. رغم تهدم المنارة الثانية و بقاء قاعدتها فقط مع بعض السلالم ولكن لن نبتعد عن الحقيقة كثيراً اذا قلنا ان ارتفاعها كان مقارباً و ربما اعلى من مثيلتها في داخل المدينة. و كانت تلك المنارة مرفقه ببناء اشبه بمثيلتها داخل المدينه. استعمل البناء المرفق بالمنارة الواقعة في الوادي في احدى المراحل كمدرسة لتعليم الفقه الاسلامي و كانت تسمى ما ترجمته مدرسة الفقه او مدرسة قباد او قبهان كما يحلو للبعض تسميتها.

---

[3] من حديث للمؤلف مع السيد عبدالله خفتان البَناء الذي قام باعادة بناء القسم العلوي.

منارة ام مئذنة



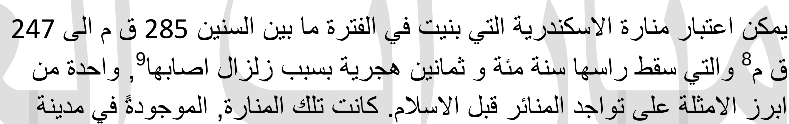
شكل -2- يظهر ارتفاع منارة العمادية مقارنة بارتفاع البناء داخل المدينة.

المنارة (جمعها منائر او منارات) تعني باللغة العربية موضع النور و العَلَم و مَحَجَّة الطريق و مايوضع بين الشيئين من الحدود[4].

و يقال للمنارة التي يؤذن عليها المئذنة[5] و جمعها مآذن[6].

مع انتشار الطاقة الكهربيه في النصف الثاني من القرن العشرين و بدء استعمال مكبرات الصوت, تستعمل اغلب المنارات الان كمأذن من خلال وضع مكبرات الصوت عليها او صعود المؤذن عليها للأذان, بحيث اصبحت جزءاً من بناء الجوامع اليوم. حتى ان الكعبة المشرفه الان فيها منارات عليها مكبرات صوت تستعمل كمآذن, وذلك لانتفاء الحاجة لاستعمال المنارات لاغراضها الاصليه التي بنيت لاجلها كما سيتم ذكره لاحقاً.

كانت المنارات موجودة قبل الاسلام. لكن الغرض الرئيس من وجودها لم يكن دينياً او واضحاً, كما يقول ناث[6] في كتابه و كما هو واضح من تعريف المعاجم للكلمة. حيث انها كانت منتشرة في انحاء الدولة الساسانية[7] (سميت بالدولة الساسانية نسبة الى اصل العائلة الحاكمة فيها الذين يعود اصلهم الى مدينة سوسه التاريخية, الواقعة شرق مدينة العمارة, وهي موقع رأس المؤرخ العراقي المعروف د. احمد سوسه). كانت عاصمتهم الصيفية هي مدينة المدائن (بعقوبه) و العاصمة الشتوية كانت مدينة سوسه.



يمكن اعتبار منارة الاسكندرية التي بنيت في الفترة ما بين السنين 285 ق م الى 247 ق م[8] والتي سقط راسها سنة مئة و ثمانين هجرية بسبب زلزال اصابها[9], واحدة من ابرز الامثلة على تواجد المنائر قبل الاسلام. كانت تلك المنارة, الموجودةً في مدينة الاسكندرية شمال مصر, تعتبر واحدةً من عجايب الدنيا السبع. وسبب ذلك هو ان الاساطير القديمة كانت تقول ان مجموعة من المري (جمع مرآة) او العدسات وضِعت اعلاها. كانت هذه تعكس النار المحترقة اعلاها[10] (او تركز اشعة الشمس) لتحرق السفن الغازية في البحر مقابل الساحل قبل وصولها الى الارض.

يذكر الطبري في كتابه" تاريخ الامم و الملوك" ان الملك الساساني فيروز ابن يزدجر امر ببناء منارة لتحديد الحدود بين دولته و بين خاقان الترك في اذربيجان بعد معارك بينهما.[11] و كذلك كانت العرب تسمي الملك الحبشي ابرهة بن الرائش ب ‘ذو المنار‘ لانه كان يضع مناراً في طريق غزواته ليستدل جنوده بها في طريق عودتهم خوفاً عليهم من الضياع.[12]

تتكلم كتب اللغة عن منار الحرم على انها منار او اعلام وضعها ابراهيم الخليل حول الحرم المكي لتعرف بها حدود الحرم من حدود الحل. اي حدود تحريم القتل و الصيد حول الحرم المكي.[13]

و تقول العرب الطلمساء هي الظلمة الشديدة والأرض التي ليس بها منار ولا علم[14], اي المكان الذي لاتوجد فيه اية علامة او دلالة للطريق او المكان.

---

[4] البستاني, قطر المحيط. كذلك المعجم الوسيط ج4

[5] الازهري, تهذيب اللغة, دار احياء التراث العربي 15, 166. كذلك معجم الوسيط ج1

[6] معجم الوسيط ج1

[7] Nath N, Studies in medieval Indian architecture, M.D. Publications Pvt. Ltd., 1995

[8] A Selnachai, 2006, International journal of nonlinear science and numerical stimulation

[9] الطبري, تاريخ الامم و الملوك, احداث سنة مئة و ثمانون

[10] المسعودي, اخبار الزمان, ج1 ص181, بيروت 1966

[11] الطبري, تاريخ الامم و الملوك ج1

[12] الطبري, تاريخ الامم و الملوك ج1

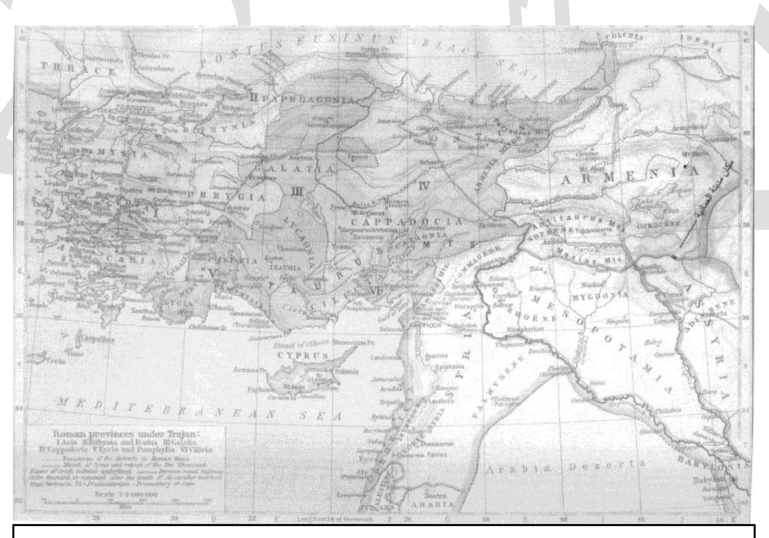
[13] ابن منظور, لسان العرب, كلمة "منار" .

وقد أنشد الجوهرى لامرئ القَيس يصف جارية: تضِيءُ الظلام بالعِشاءِ كَأَنها   منارةُ ممسى راهِبٍ متبتل[15]

لم تكن في هيكل اول جامع انشأه النبي صلعم في المدينة المنورة منارة. و لم تظهر المنارات في الجوامع التي بناها معاوية في الشام. احد الجوامع في دمشق كانت له هياكل مربعه مرتفعه في زواياه تدعى صوامع حيث كان قلعة رومانية تم تحويلها الى كنيسة و من ثم الى جامع. و عندما امر معاوية مسيلمة ان يبني جامعاً في مصر, امره ان يبني صوامع في زواياه[16] وذلك سنة 673 م عندما بنى جامع عمر. كانت هذه الصوامع مشابهة لابراج المراقبة الرومانية اكثر منها للمنارات كونها ضمن هيكل البناء وليست منفصلة عنه. و عندما اعاد الوليد بناء الجامع في الشام لم يغير من شكل هذه الصوامع و استعمل احداها للأذان. انتشرت الصوامع في الجوامع المبنية شمال افريقيا و منها الى الاندلس و كان بعضها متعدد الطوابق. من ابرز الامثلة على ذلك هو جامع القيروان المبني سنة 724-727 م. اما المنارات, من ناحية اخرى, هي ابنية دائرية منفصله عن هيكل الجامع. فيها سلالم تدور عكس عقرب الساعه كانت منتشرة نحو الشرق من نهر الفرات. لهذا فلا يبدوا بان المنارات هي تطور او تحوير للصوامع, بل هي كيانات هندسية مختلفه تماماً[15].

الطريق البديل

يصف لنا هيرودوتس[17] المورخ الروماني الذي عاش في الفترة من 484 ق م الى 425 ق م الطريق الرئيس الذي يطرقه التجار و المارة اضافة الى الجيش في زمانه, الذي يربط بحر ايجه بالخليج ماراً بالعراق. وهو الطريق الذي سلكته اغلب الجيوش البيزنطينية عند غزوها و حروبها مع الامبراطوريات الاخرى شرق الفرات و دجله قبل الاسلام. كانت الرحلة في ذلك الطريق من اوله الى آخره تستغرق ثلاثة اشهر في ذلك الوقت. يسمي هيرودوتس الطريق بطريق الملوك و يبدوا انه كان معبداً و جيد الادامة من اجل مرور قوافل التجارة عليه. في الجزء الذي يمر بالعراق كان الطريق يمر من نصيبين (جنوب تركيا حالياً) الى مدينة حضر الواقعة غرب الموصل و يصل الى نهر دجلة عند عاصمة الاشوريين التي هي آشور التي تقع جنوب مصب الزاب الاعلى (عند مدينة شرقاط حاليا) يبدوا ان التجار كانوا يجدون صعوبة في عبور الانهار لذلك كانوا يتجنبون عبورها قدر الامكان (توجد مقولة عراقية قديمه تقول امشي شهر و لا تعبر نهر) خصوصاً وان الجسور كانت خشبية و كانت قابله للتهدم او الانجراف بسبب السيول او الفيضانات او غيرها كما سيتم ذكره. لهذا كان طريق عبور نهر دجلة الرئيس حينها هو جنوب مصب الزاب لتجنب عبور نهر الزاب ايضاً الى حين بناء جسر ثابت على النهر بعد ذلك بزمن. يصل الطريق بعد ذلك الى مدينة اربيل و ثم الى المدائن و من ثم مدينة سوسة و منها الى الخليج. اغلب الضن ان العراقيين من اهل مدينة المدائن سلكوا ذلك الطريق شهر آذار سنة 637 م في طريقهم الى منطقة اربيل (كان العرب يسمون المنطقة التي بها مدينة اربيل الان "حلوان"[18]) كما مذكور في المقطع التالي من كتاب تاريخ الامم و الملوك للطبري



شكل -3- خريطة لحدود الامبراطورية الرومانية يظهر فيها موقع العمادية

" ولما كان اليوم الثالث في المدائن قبل أهل القصر الأبيض وخرجوا، ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الإيوان مصلى، وإن فيه لتماثيل جص فما حركها. كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، وشاركهم سماك الهجيمي، قالوا: وقد كان الملك سرب عياله حين أخذت بهرسير إلى حلوان، فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هرابا، وخيلهم على الشاطئ يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور، فاقتتلوا هم والمسلمون قتالا شديدا، حتى ناداهم مناد: علام تقتلون أنفسكم! فوالله ما في المدائن من أحد. فانهزموا واقحمتها الخيول عليهم،

---

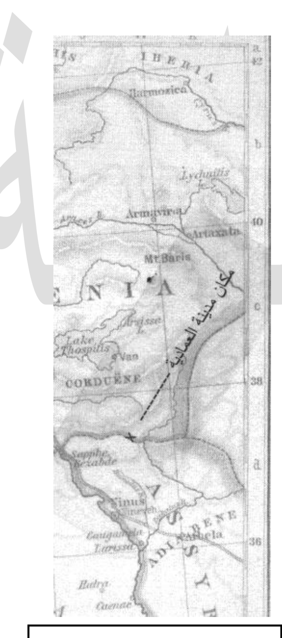
[14] معجم الوسيط ج 2
[15] الزبيدي, التكملة والذيل و الصلة, ج 8
[16] Nath N, Studies in medieval Indian architecture, M.D. Publications Pvt. Ltd., 1995
[17] The History of Herodotus, ج 5
[18] ابن حوقل, صورة الارض

وعبر سعد في بقية الجيش. كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا: أدرك أوائل المسلمين أخريات أهل فارس، فأدرك رجل من المسلمين يدعى ثقيفا أحد بنى عدى ابن شريف؛ رجلا من أهل فارس، معترضا على طريق من طرقها يحمى أدبار أصحابه، فضرب فرسه على الأقدام عليه، فأحجم ولم يقدم، ثم ضربه للهرب فتقاعس حتى لحقه المسلم، فضرب عنقه وسلبه".[19]

يبدوا ان اغلب اجزاء ذلك الطريق المعبد بالحجارة اصبح الاساس الذي تم اكسائه بالقير اوائل القرن العشرين من قبل القوات الانكليزيه لربط بعض المدن و القصبات العراقية. او انه تدهور و انطمر بسبب عدم الاستعمال لفترة طويلة نتيجة بناء الجسور الحجرية خلال المراحل اللاحقة من التاريخ و استعمال طرق اخرى للتجارة.

في كتاب ل "آريان" الاغريقي[20] حول حياة الاسكندر المقدوني, يصف لنا الكاتب حملة قام بها القائد الاغريقي زينوفون (Xenophon) 430 ق م – 354 ق م. يعبر زينوفون في تلك الحملة, نهر دجلة ولكنه يفاجأ بان العراقيين يقابلونه بسياسة الارض المحروقه و اول ما يفعلونه هو انهم يحرقون الجسر القائم على نهر دجلة, الشيء الذي يبدوا انه تفاجا به. لقد اصبح هو مع جيشه الجرار محصوراً شرق دجلة. اي في الطريق الواصل بين نمرود و اربيل. اقترح بعض افراد حملته ان يتم ذبح آلاف الاغنام التي غنموها و نفخ جلودها و ربطها مع بعض البعض ووضع التراب عليها لجعلها كجسر على نهردجلة لغرض العودة بعبور حيوانات الحملة عليها. لكن لم ياخذ برأيهم خصوصاً و انه لم يكن يسيطر على الجهة الغربيه من النهر.

بدأ القائد الاغريقي باستجواب و تهديد الاسرى لكي يجد طريقاً بديلا للعودة. و تم له ذلك بان علم بامكانه ذلك بالتوجه شمالاً متجنباً عبور نهر الى ان يصبح النهر ضحلاً يسهل عبوره حسب قول الاسرى حيث انه سيجد الارمن الذين كانوا حلفاء للاغريق في ذلك الوقت في الضفة الاخرى. يبدوا بانه سار شمالاً محاذياً للزاب الاعلى الى ان يصبح الماء سهل العبور.



شكل -4- تكبير مقطع من شكل -3-

تقول الخرائط القديمه بان المنطقة الواقعة شمال نهر الزاب الاعلى الى منابع دجلة كانت منطقة الكردوجي او الكوردوين (Carduene) (اعتقد بانهم الاكراد, لان الاغريق القدماء كانوا يحورون الاسماء لتتوافق مع لهجتهم حيث انهم اصبحوا يسمون عيسى جيسيوس وكانوا يسمون المنطقة غرب الفرات حيث كان يسكن العرب ارابيان). عندها تفاجأ زينوفون و قادته بقساوة و حرفية مقاتلي المنطقة من ردهم بعد ان حرق بيوتهم, لهذا اراد ايجاد طريق آخر لايمر بارضهم. حاول اخذ اسرى من المنطقة ليدلوه على طريق آخر اقل صعوبه ولكن لم يكن هناك بديل لهذا الطريق. و بما ان طريق القوافل القديم من اربيل الى نهر دجلة كان يمر بمدينه العمادية فعلى الاغلب انهم مروا بتلك المدينه في رحلتهم. ان القصة تخلوا من تفاصيل كل المنطقة مر بها الا انه في النهاية يعبر ماءاً ليصل الى اراضي الارمن بعد فقدانه كل غنائمه و الكثير من جنوده. حتى انه لم يعبر لابساً درعه. يبدوا ان تلك الطريق كانت معروفة منذ ذلك الوقت. لانه لاحظ حينها كثرة البضاعة بشكل خاص في الاماكن التي مر بها واثار اهتمامه وجود ادوات الطعام . يصبح هذا الرأي مقبولاً اذا علمنا بان واحد من اقدم مناجم النحاس و من ثم صنع البرونز في العالم هو في منطقة جيانو جنوب شرق تركيا القريبة[21]. كان استنتاج زينوفون من مغامرته تلك بان اهالي المنطقة الكوردية مقاتلون اشداء لايمكن السيطرة على مناطقهم و حكمها ولكن يمكن كسب ولائهم. بقي هذا الرأي في معظم المؤلفات الغربية حول المنطقة[22]. وكان واقعاً حتى بعد الفتوحات الاسلامية, لان مناطقهم نائية ذات مناخ قاسي خصوصاً ايام الشتاء مما يجعل السيطرة المباشرة عليها غير عمليه. هذه الحقيقة مهمة بشكل خاص عند التطرق لكيفيه السيطرة و حكم تلك المنطقة.

يبدوا ان هذا الطريق البديل كان مسلوكاً بشكل كبير خلال مواسم الصيف لصعوبة استعمالة شتاءاً. توجد دلائل بانه في حقب التاريخ المختلفة و عند وجود اضطراب غرب دجلة كان التجار يخافون على تجارتهم و كانوا يسلكون هذا الطريق للوصول الى الاسواق في اوربا او الى سواحل البحر المتوسط, بل في احيان كثيرة كانت كل تجارة شمال الخليج و التجارة البرية من الهند وفي بعض الاحيان التجارة البحرية من الهند من التي كانت تخشى القرصنة من سواحل عمان واليمن كانت تمر منه وكذلك التجارة من بابل. خصوصاً ايام العداوة بين الدولة البابلية والاشورية عندما كان الاشوريون يسيطرون على منطقة الجزيرة (المنطقة بين دجلة و الفرات شمال بغداد) و شرق

---

[19] الطبري, تاريخ الامم و الملوك ج25 ص 318

[20] Arrian, Anabasis of Alexander, London 1888

[21] Izady M , The Kurds, Crane Russak,1984, 24

[22] Wright G N, A new and comprehensive gazetteer, London, 1884

البحر المتوسط و قد يكون التجار البابليون يحاولون تحاشي قساوتهم بسلوك ذلك الطريق, او يجوزعند انتشار الاضطرابات الكثيرة الحدوث في منطقة الجزيرة ابان الدولة العباسية و بعدها. قد تكون احد اسباب سلوك هذا الطريق هو الجفاف او عند فيضان نهر دجلة و انقطاع سبل العبور او صعوبته رغم ان الدول في مختلف حقب التاريخ كانت حريصة على امن و سلامة الطرق المارة في اراضيها طمعاً بالضرائب المتأتية من ذلك ولكن تفاصيل ذلك هي خارج اهداف هذا المقال.

الحدود

في الخريطة التاريخية المرفقه التي اوردها للمثال و ليس للحصر. يمكن ملاحظة الحدود بين الامبراطوريات المختلفه في فترة تاريخية معينه. و في الجزء المكبر يمكن ملاحظة ان خط الحدود كان يمر على جبل متينا بين الارمن و الامبراطورية الآشورية. اي ان العمادية كانت تقع على الحدود بين تلك الامبراطوريتين في تلك الفترة.ان خط الحدود بين الامبراطوريات التاريخية كان يمر بالانهار او بالمناطق الجبليه النائية في الكثير من حقب التاريخ و حتى الان. لان السيطرة على الانتقال عبرها يكون اسهل. قد يكون مرور الحدود بالعمادية في تلك الفترة التاريخية او في فترة تاريخية اخرى مثل الحدود بين الامبراطوريه العثمانية و الصفوية خلال احدى الفترات, او بين الامبراطورية الميدية و الآشوريه, او بين آق قوينلو و قره قوينلو, هو السبب في وجود منارتين في العمادية (كما في تعريف المنارة المذكور سابقا) لكي تحدد خط الحدود وطريق العبور خصوصاً و كل من المنارتين تقعان على جانبي مجرى ماء فاصل بينهما. و كل من المنارتين مصحوبتين ببناء فيه غرف كثيرة لايواء المسافرين و حرس الحدود و حقيقة وجود العمادية هو في مكان نائي وسط الجبال.

طريق بعد الحدود

تذكر كتب التاريخ[23] احتلال و هدم مدينة العمادية مع الكثير من الحصون الكوردية الاخرى من ضمنها الزوزان (سر عمادية الان) الواقعة شمال العمادية و عقر (عقرة الان) الواقعة شرقها و معها تم السيطرة على الموصل. هذا يدل بان خط الحدود لم يعد يمر بالعمادية في 18 كانون الاول سنة 1218م. عند انتقال خط الحدود بعيدا عن العمادية, انتفت الحاجة الى المنارة الواقعة خارج العمادية مع البناء المرفق بها. يجوز ان هدم المنارة او همالها الى ان تهدمت حدث اثناء الغزو عندما تقول الكتب انه تم هدم المدينة او ان المنارة تهدمت بعد ذلك. و تم استعمال البناية المرفقة كمدرسة لتعليم الفقه الاسلامي من قبل والي العماديه الذي كان يزود المدرسة بسبل ديمومتها. و لعل هذا هو سبب التشويش في تسميتها حيث ان اسمها مدرسة قباد و يقول البعض ان اسمها مدرسة قبهان. لان الاسم الاخير يمثل الجمع بين كلمتي قباد و خان او لعلها الجمع بين كلمتي قبان و خان. حيث ان البناية كانت خاناً للمسافرين قبل ان تصبح مدرسة. عدم بقاء قلعة العمادية قلعة حدودية لم يغير كثيراً من موقعها الاستراتيجي في السيطرة على طرق التجارة (تقول كتب الجغرافية التاريخية بان العمادية مدينة تجارية[24]) و مفترقاتها ولهذا بقيت و ترعرعت امارة بادينان كما نسميها. ولكن مع تغير الاحوال و قلة التجارة عبر الطرق الجبلية. تم استخدام البناء المرفق للمنارة في مركز المدينه ليصبح جامعاً وهذا شيء طبيعي مع انتفاء الحاجة الى مكان لايواء المسافرين والتجار و انتشار الاسلام في المنطقة. و تم ايقاف تمويل المدرسة بسبب قلة الموارد و بهذا توقف التدريس و تدهورت البناية مع منارتها لتصبح خراباً و اثراً بعد عين.[25]

حديث عن السكان

يستغرب الغريب و غير العارف بتاريخ المدينة عند اطلاعه على القاب سكان مدينة العمادية[26] و الكنية الذي يسمي به سكان الامارات الكوردية الاخرى سكان امارة بهدينان. و هذا شيء طبيعي لان المدينة الان و لفترة تتجاوز الثلاث مئة سنة, هي مدينة مهملة نائية تاثيرها محدود على ما يدور في العراق و العالم من حولها من حوادث. ولكن عند استقراء تاريخ المدينة و مدى دورها في التاريخ العالمي و العراقي نستنتج الحقائق التالية.

طوال اكثر من الفي سنة كانت هذه المدينة تسيطر على واحدة من اهم طرق التجارة العالمية. و لعل ابرز مثال على ذلك بان الطريق الواصل من المدينة الى جلميرك شمالها هو مرصوف بشكل بديع لكي يتسنى لاصحاب الحيوانات و الحمولات المرور به بدون اي

[23] ابن الاثير, الكامل في التاريخ ج 10 حوادث سنة 615 هجرية.

[24]

[25] توجد الكثير من التفاصيل المثيرة حول الطرق التاريخية المارة في منطقة كوردستان ولكنها خارج نطاق هذه المقالة

[26] آميدي, علي عمر, ماقاله وما لم يقله طارق عمادي, جريدة الاتحاد العراقية, العدد 2386 في 2010/4/24 و التي رد على بعضها الكاتب في , توضيحات على رد عمر علي آميدي, جريدة الاتحاد العراقية, في 2010/5/23

مشاكل. و ان المنطقة خالية بشكل عجيب من اية حيوانات مؤذية لان ولاة العمادية كانوا حريصين على القضاء على اية حيوانات مفترسة او مؤذية من الممكن ان تؤثر على سير التجارة السلس عبر الممرات الجبلية التي تمر بها.

بسبب الحقيقة المذكورة اعلاه فان المدينة كانت غنية و كانت مركز للتجارة مما يفسر كثرة الدكاكين و الاسواق فيها. لهذا فليس من الغريب ان يسكنها كل كبير من كبار القبائل و الاغوات. لانها مصدر كبير للغنى و القوة. و هذا يفسر كثرة اصحاب القاب الاغوات في العمادية. و عند تدهور امور التجارة و الاحوال حدث الامر بشكل تدريجي طوال العديد من السنين والعديد من الاجيال بحيث انقطعت صلة هؤلاء الاغوات مع قبائلهم الاصلية.

ان سكان المدينة مدنيون اي ليسوا افراد قبيلة او عشيرة واحدة. و هم كذلك منذ آلاف السنين بعكس مناطق اخرى في العراق او خارجه لازالت العصبية القبلية البدائية تحكمهم, او ان سكانها من قبيلة او عشيرة واحده. سبب ذلك هو كون المدينة كانت ملاذاً للألاف من الاغراب على طول السنين و الاعوام, اما هرباً من اضطهاد من منطقتهم او طمعاً في الربح و التجارة التي كانت مزدهرة, او حتى ذوي الصنائع و الحرف الذين وجدوا في المدينة من يسعى الى الحصول على منتجاتهم.

ان المدينة و حكامها, الذين افتخر بكوني احد ابناءهم, كانوا منفتحين على الديانات و المذاهب المختلفة بشكل واضح. رغم المذابح و الاهانات التي كان اصحاب الديانات الاخرى غير الديانة السائدة (كون الديانة السائدة كانت تختلف باختلاف العصور و الازمان) يعانون منها في مناطق اخرى من العراق و المنطقة. ان تواجد اصحاب هذه المذاهب و الاديان المختلفة كان مستمراً في المدينة. انها كانت مركزاً لليزيدية و كان مقر مير اليزيدية فيها طوال الاف السنين الى ان هاجمها مير كور الراوندوزي في القرن الثامن عشر كما سيلي ذكره. و لعل هذا هو سبب تسمية الاخرين لامارة بهدينان ب زازا. و كان فيها احد مراكز اليهودية المهمة في العراق الى ان قام المتعصبون بحملة ادت الى هربهم في اواسط القرن العشرين. و فيها مطرانية مسيحية لازالت باقية لحد الان.

يبدوا بان والي او حاكم المدينة طوال هذه الالاف من السنين ينتمي الى نفس العائلة. و نلاحظ ذلك عند قراءة العديد من الكتب التاريخيه التي تذكر حوادث احتلال او تخريب هذه المدينة و السيطرة عليها حيث يقوم المحتل باختيار خلف او شخص ينتمي الى نفس العائلة لحكم المدينة او يقوم الاهالي انفسهم بفعل ذلك. و لعل مثال احتلال مير راوندوز (المولود سنة 1784 م)[27] للمدينة في التاريخ القريب عندما اقنعه ابن عم والي العمادية المدعوا موسى بانتشار الكفر فيها. حيث قام المير محمد كور الراوندوزي باحتلال مدينة العمادية و قتل مير اليزيدية الذي كان مركزه في المدينة, مع قتل من لم يهرب منهم من مركز المدينة و قام بتنصيب المذكور موسى والياً عليها. ولكن اهالي العمادية قاموا بطرد الوالي الذي تم نصبه حال عودة المير الى مدينته راوندوز, بعد وضعه على حمار بشكل مقلوب كتعبير للاهانة و قاموا باعادة الوالي القديم الذي كان قد هرب من القلعة اثر احتلالها من خلال احدى الدروب التي لايعرفها سوى اهل المدينة.[28]

ان المنارة الباقية شامخة في العمادية ستبقى اسوةً بالاثار التاريخية الاخرى في المدينة رمزاً و تذكرة للاجيال على عراقة مدينتهم و اثرها على العالم و العراق و ما مر بها من حوادث و عبر.

---

[27] الداوودي عوني, الحوار المتمدن
[28] العمادي طارق, عاصمة الامبراطورية الميدية بين أماد - ئفاهيا (ئاميدي - العمادية) و اقباتان (همدان – كرمنشاه), اربعة اجزاء, مواقع مختلفة





شركة تراق
2011